تابلاط كما وصفها م بيتون[1](M.PITON)

أ. سموم لطيفة

جامعة ابن خلدون - تيارت

من المعلوم تاريخيا أنّه بعد أن تمّت السيطرة على مدينة المدية سنة 1856 م من طرف الفرنسيين، شرعوا بعدها مباشرة في حفر أساس بناء المستشفى العسكري، وأثناء هذه العملية عثر الفرنسيون من عسكريين وبنائين على رفات أي هياكل عظمية قديمة وتحف وزهرية عليها صورة امرأة وفخار ونقود من البرونز وفانوسة لونها رمادي، بدأ الاهتمام بالتنقيب والعثور على كلّ الآثار الرومانية الموجودة على أنقاض مدينة المدية (لمبدية في القديم Lambdia)[2] نزولا عند رغبة مترجم الجيش الفرنسي ويدعى فلوريان فرعون Florian Pharaon والذي طالب المراسلين بإجراء جرد للآثار الرومانية الموجودة هناك وبان يبذلوا كل جهودهم للعثور على النقش الحجري الذي أشار إليه الجنرال دوفيفيي Général Duvivier[3]، لذلك قام بيتون بدوره بدراسة ميدانية مكّنته من التعرف عن كثب على بقايا الاحتلال الروماني في منطقة تابلاط، ولكن ما أمّدنا به بيتون من معلومات يبقى يسيرا ولا يسدّ نهم الباحثين والمختصين في هذه الفترة مع قلة المصادر والمراجع في ذلك.

فيذكر أنّه:"لا يشار في الأطلس الأثري للجزائر[4] إلى المنطقة الجبلية الشاسعة الواقعة في جوار تابلاط إلا بثلاث نقاط لا تتضمن كل واحدة منها إلا بضع توضيحات وجيزة جدا. ولكن في الحقيقة _وكما أتيح لنا أن نقف على ذلك أثناء تحقيق قمنا به عن كثب_ فإنّ آثار الاحتلال الروماني عديدة في كلّ هذه المنطقة التي يبدو أنّها كانت مرتبطة من جهة _نحو الجنوب_ بالطريق الكبير بين سور الغزلان (Aumale)[5] والبرواقية (Berrouaghia)[6] ومن جهة أخرى_نحو الغرب_بأرباض بن شيكاو (Ben-Chicao)[7].

ويضيف قائلا: " نريد أن نشير هنا أولا إلى الآثار الهامة التي تمكّنا من دراستها في عجالة بالقرب من تابلاط على بعد كيلومتر(01) واحد وثلاثمائة (300) متر إلى الجنوب الغربي من هذا المركز، وعلى بعد أيضا ثلاثة (03)كيلومترات وخمسمائة (500) متر من ملتقى وادي يسر(Oued Isser)[8]ووادي الحد (Oued el-Had)، على ارتفاع صخري يشرف على هذا الأخير.

والأمر يتعلق ببناء مستطيل طوله سبعون (70) مترا و عرضه خمسة وعشرين (25) مترا، تبدو الجدران فيه ظاهرة للعيان وهي مصنوعة من أحجار كبيرة الحجم مقاسها متر واحد على ستين (60) سنتيمترا مجمّعة بانتظام وتعطي الانطباع أنها بناء من عهد جيد.

وفي الزاويتين الواقعتين في الشمال الشرقي والجنوب الشرقي يوجد برجان مستطيلان غير بارزين طولهما سبعة (07) أمتار وعرضهما أربعة (04) أمتار، وكان المدخل في وسط الضلع الغربي.

تلتقي في المركز ثلاثة أحواض منحوتة في نفس الحَجَرة، كما يكسو الأرضية أيضا أحجار منحوتة بينها تاج عمود غير متقن الصنع.

ويبدو من الممكن وجود غرف تحت الأرض[9] بسبب تجويفات على الواجهة التي تشرف على وادي الحد، وهذه للتذكير عادة سكان المنطقة.

ومن هذا المكان يمتد النظر على كل وادي الحد، فنرى خاصة على مرتفعات جبل مزغيدة قرب مشتى كروكدة[10] مركزا محصنا ببناء مميّز وليس مشارا إليه.

وهكذا يبدو أنّنا أمام مراكز مراقبة رومانية وتموين ذات طابع عسكري[11] كانت مكلّفة بمراقبة الاتصالات وحراسة البلاد.

وعلى بعد مائتي (200) متر شمال هذه الآثار ومن أسفل إلى أعلى نجد آثار أخرى بدون تخطيط واضح، تحتل فضاء مستطيلا طوله ثلاثين (30) مترا وعرضه عشرين(20) مترا[12]. كما يمكن فقط ملاحظة كيفية البناء من جانب منخفض، وعلى بعد خمسة عشر (15) مترا شمالا نجد قنوات للماء[13] طينية يبلغ قطرها من خمسة عشر(15) إلى عشرين(20) سنتميترا.

وأخيرا يشير بيتون إلى آثار رومانية أخرى غير واضحة التخطيط على بعد كيلومتر وثلاثمائة (300) متر شمال شرق تابلاط في المكان المسمى بتلارزاق (Tala Rzag)[14]، تغطي مساحة مائة (100) متر مربع تقريبا، وليس بها إلا أحجار منحوتة مبعثرة على الأرض استعملت في البناء"[15].

الهوامش:

(1) بيتون (Piton): هو المجاز والحاصل على شهادة الليسانس في الآداب والحقوق، وعضو في الجمعية التاريخية والجغرافية لمنطقة سطيف.

(2) راجع ترجمتها في: الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م ، ج2، ص: 41.

(3).Chronique, Revue Africaine, année 1857,V2, O. P.U , Alger.pp : 494-498 .

(4) يحدّد المؤرخ الفرنسي ستيفان قزال (Stéphane Gsell) في كتابه "الأطلس الأثري للجزائر" (Atlas Archéologique de l'Algérie) المواقع الأثرية لمنطقة المدية أو نواحيها، فيذكر في الورقة 14 أرقام 8، 9،

10، إشارات إلى مواقع أثرية رومانية في جهة تابلاط بالمنطقة الجبلية منها، ولكن جرى فيما بعد بحث مركز لاكتشاف المواقع الأثرية الرومانية بشكل محدّد. ينظر: أحمد السليماني، "مدينة المدية ونواحيها في العهد القديم" مجلة الدراسات التاريخية، العدد 09، سنة 1415هـ/1995م، ص ص: 138-139.

Stéphane Gsell, Atlas Archéologique de l'Algérie, Adolphe Jourdan, Alger, 1911, feuille 14, n° 8-9-10, p :02

(5).سور الغزلان أو أومال (Aumale): توقف مالتسان (وهو ألماني من أصل إنجليزي) أثناء رحلته عند العديد من المناطق الشرقية التي لها صلة بالتاريخ الروماني بصفة خاصة، تقع فوق هضبة رتيبة تحيط بها رؤوس سلسلة الجبال المنحدرة عن جبل الذراع، وكان معظم سكانها في تلك الفترة من الجنود، أنشئت عام 1840م فوق آثار أوزيا الرومانية (Auzia) في موضع قلعة بناها الأتراك وسمّوها سور الغزلان أي عين الغزلان. ينظر: هايزيش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م، ج2، ص ص: 185-186.

كما يذكر محمد البشير شنيتي أنّ: " أوزيا كانت من أهم المواقع العسكرية المتميزة وبأنّها جلبت انتباه قادة الجيش الروماني منذ أن تعرفوا عليها أثناء الحملات العسكرية الأولى في حربهم مع تاكفاريناس، حيث اكتشفوا أنّ ضمان السيطرة على العمق الموريطاني يقتضي التعسكر في مواقع ملائمة من حيث إمكانية الاتصال بينها وبين المدن الساحلية كي يسهل مدّها من هناك بالمؤن والنجدات عبر المسالك المؤدية إلى تلك المواقع، ولا شك أنّهم وجدوا في أوزيا ضالتهم فحطوا رحالهم بها منذ وقت مبكر". ينظر: محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ج1، ص: 194. ويضيف كل من شارل أندري جوليان وباراس: "كانت سور الغزلان مركزا عسكريا هاما شيّدت مبانيه على سفح نجد مرتفع، يوجد بين نهرين ومنه كان من اليسير الالتحاق بالغرب أو الجنوب على السواء، وكانت هذه المدينة بلدية في أول أمرها، ثم جعل منها سبتيموس سواريوس مستعمرة". ينظر: شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، فيفري 1983م، ص: 237.

Jh.Parrès, Etudes Historique sur la ville d'Aumale, imprimerie algérienne, alger, 1912, p :06. S.Gsell, OpCit, feuille 14, 105, pp :8-10.

(6) البرواقية: Berrouaguia أو تنارامورزا في القديم (Tanaramusa Castra) من مدن موريطانيا القيصرية، تحتل الموقع الذي بني فيه اليوم سجن البرواقية الفلاحي. ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص: 238.

(7) بن شيكاو: (Ben- Chikao) هي قرية تقع إلى الجنوب من جبال الأطلس، وعلى بعد مائة (100) كلم من الجزائر العاصمة وعشرين (20)كلم من المدية، تمّ إنشاؤها كمركز (مستعمرة لزراعة الكروم)حوالي عام 1872م، تتصل بجبل فرنان. ينظر:

Florian Pharaon,Notes sur les tribus de la subdivision de Médéa, Revue Africaine, année 1857,V2, O. P.U , Alger , p :47.

(8).وادي يسر: ينبع من بني سليمان و أومال (سور الغزلان) وينتهي عند رأس جينات. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص: 227.

(9) يبدو أنها كانت عبارة عن مخابئ للمؤونة .

(10) لم أهتد إلى تحديد موقعها.

(11).يذكر محمد البشير شنيتي أنّ:" رسم الحدود الفاصلة بين ما يقع تحت سلطة الإدارة الرومانية وما كان خارجا من تراب موريطانيا القيصرية (تمتد من الوادي الكبير إلى وادي ملوية على شريط ساحلي محصور بين البحر والأطراف الشمالية للهضاب العليا، ووضعت تحت حكم وكيل الإمبراطور وكيل الإمبراطورProcurator وهو من رتبة الفرسان يجمع السلطات المدنية والعسكرية) قد جرى في شكل خطوات بطيئة وحذرة استغرقت عشرات السنين، وبصفة عامة فإنّ إرساء الحدود الجنوبية للمقاطعة القيصرية، هو العمل الذي اصطلح عليه **بالليمس** (Limes)، وتتجلى الميزة العسكرية لهذا الخط في أنّه ارتكز على مواقع مهيمنة على محيطها من الناحية العسكرية من حيث الإشراف وسهولة الاتصال فيما بينها، فضلا عن يسر التحكم في المعابر والمسالك بين الجنوب والشمال خاصة. وقد وضعه الرومان أيضا للتحكم في الوضع الأمني، وذلك بمراقبة كلّ التحركات المعادية التي يقوم بها سكان المنطقة من الجبليين الزراع والبدو الرعاة ضدهم في المنطقة، فكانوا مثلا في بداية الأمر يكتفون بعمليات عسكرية لإخضاع المتمرّدين، إنطلاقا من أوزيا مثلا التي اتخذوها معسكرا مؤقتا ثم يعودون إلى المدن الأكثر أمانا في الشمال. ينظر: محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص ص: 118 -119. محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري (منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ص: 181، 195.

(12) M.Piton, Note sur la région de Tablat, Revue Africaine, année 1935, V76, O. P.U , Alger, pp :233-234 .

(13) حاز عنصر الماء أكبر قسط من اهتمام المؤسسات الرومانية، فمثلا شكلت هضبة أوزيا (سور الغزلان حاليا) جزءا رئيسيا من تقسيم المياه في بلاد التل، حيث يأخذ الميل العام عندها ثلاث اتجاهات واضحة، إحداها نحو الشمال الشرقي مكونة حوض وادي الصومام الأعلى، وأخرى نحو الشمال مكونة حوض وادي يسر الذي يشّق طريقه بصعوبة عبر جبال تابلاط ثم ينحدر في اتجاه الشمال ليصب غربي رأس جنات، أمّا الاتجاه الثالث فيأخذ وجهته جنوبا ممثلا في وادي الشلال الذي يعدّ أحد روافد حوض الحضنة. ينظر: محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص: 194.

(14).تلارزاق: الأصح أنّها تقع غرب منطقة تابلاط.

(15) M.Piton , OPCit, p :235

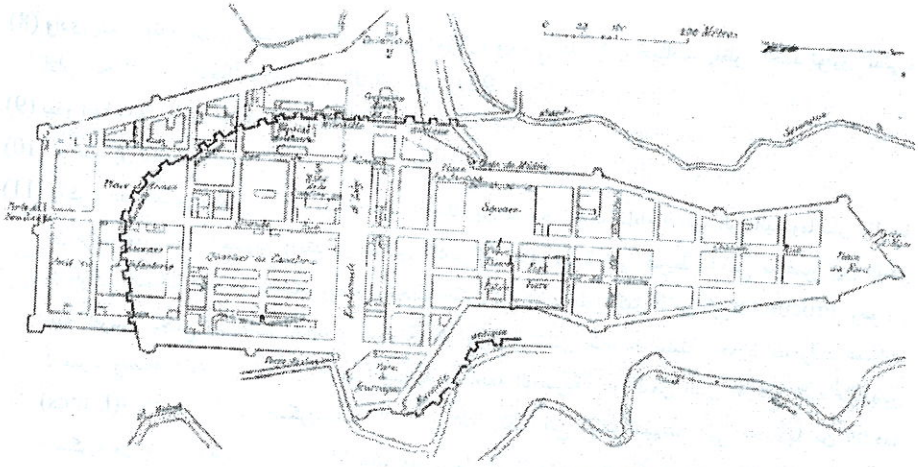

مخطط للمدينة الرومانية أوزيا (AUZIA) أو أومال (Aumale) أو سور الغزلان حاليا

Stéphane Gsell , A.A.A , feuille 14 n°105 p :9

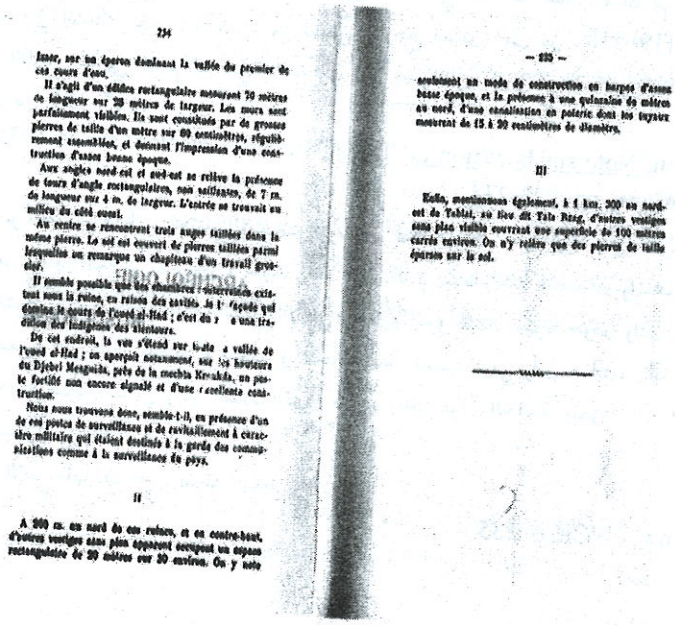

234

Issac, sur un éperon dominant la vallée du premier de ces cours d'eau.

Il s'agit d'un édifice rectangulaire mesurant 20 mètres de longueur sur 20 mètres de largeur. Les murs sont parfaitement visibles. Ils sont constitués par de grosses pierres de taille d'un mètre sur 60 centimètres, régulièrement assemblées, et donnent l'impression d'une construction d'assez bonne époque.

Aux angles nord-est et sud-est se relève la présence de tours d'angle rectangulaires, non saillantes, de 7 m. de longueur sur 4 m. de largeur. L'entrée se trouvait au milieu du côté ouest.

Au centre se rencontrent trois auges taillées dans la même pierre. Le sol est couvert de pierres taillées parmi lesquelles on remarque un chapiteau d'un travail grossier.

Il semble possible que des chambres souterraines existent sous la ruine, en raison des cavités de l'escarpement qui domine le cours de l'oued el-Had ; c'est du reste une tradition des indigènes des alentours.

De cet endroit, la vue s'étend sur toute la vallée de l'oued el-Had ; on aperçoit notamment, sur les hauteurs du Djebel Meaguida, près de la mechta Kreukda, un poste fortifié non encore signalé et d'une excellente construction.

Nous nous trouvons donc, semble-t-il, en présence d'un de ces postes de surveillance et de ravitaillement à caractère militaire qui étaient destinés à la garde des communications comme à la surveillance du pays.

II

A 200 m. au nord de ces ruines, et en contre-bas, d'autres vestiges sans plan apparent occupent un espace rectangulaire de 20 mètres sur 30 environ. On y note

— 235 —

seulement un mode de construction en honneur d'assez basse époque, et la présence à une quinzaine de mètres au nord, d'une canalisation en poterie dont les tuyaux mesurent de 15 à 20 centimètres de diamètre.

III

Enfin, mentionnons également, à 1 km. 300 au nord-est de Tablat, au lieu dit Tala Rang, d'autres vestiges sans plan visible couvrant une superficie de 100 mètres carrés environ. On n'y relève que des pierres de taille éparses sur le sol.

ملحق بالنص الأصلي لبيتون (Piton) باللغة الفرنسية

235Revue Africaine, année 1935, V 76, pp :233-

المصادر والمراجع:

1.- **الحسن بن محمد الوزان**، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج 2.

2 - **شارل أندري جوليان**، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، فيفري 1983م.

3 - **محمد البشير شنيتي**، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ج1.

4 - **محمد الهادي حارش**، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري (منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة.

5 - **هايزيش فون مالتسان**، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م، ج2.

6 - **أحمد توفيق المدني**، كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2008م.

7 - **أحمد السليماني**، "مدينة المدية ونواحيها في العهد القديم" مجلة الدراسات التاريخية، العدد 09، سنة 1415هـ/ 1995م

8.- **Stéphane Gsell**, Atlas Archéologique de l'Algérie, Adolphe Jourdan, 1911

9.- **Jh.Parrès**, Etudes Historique sur la ville d'Aumale, imprimerie algérienne, Alger, 1912

10.- **Florian Pharaon**,Notes sur les tribus de la subdivision de Médéa, Revue Africaine, année 1857,V2, O. P.U , Alger.

11.- **Chronique**, Revue Africaine, année 1857,V2, O. P.U , Alger.

12 - **M.Piton**,Note sur la région de Tablat, Revue Africaine, année 1935,V76, O. P.U , Alger.